جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

محاولات التجديد في النحو العربي " تأصيل ودراسة"

الدكتورة

حنان علي الكجم

أستاذ النحو والصرف المساعد - قسم اللغة العربية - كلية العلوم والآداب بخميس مشيط - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

(شكر وتقدير)

(الباحثة تود شكر

جامعة الملك خالد

على الدعم الإداري والفني

لهذا البحث)

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

محاولات التجديد في النحو العربي" تأصيل ودراسة"

حنان علي الكجم

قسم النحو والصرف ـ قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والآداب بخميس مشيط ـ جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : HananElkagm@yahoo.com

الملخص :

اتجه البحث إلى التعرف على طبيعة محاولات التجديد في النحو وقسمت البحث ثلاثة مباحث :المبحث الأول : نشأة النحو العربي، المبحث الثاني: ابن مضاء القرطبي ومحاولات التجديد.

. لم يكن لابن مضاء أثر في عمله النحوي الحقيقي في كتابة المشرق فلا تعدو النقولات القليلة عنه أن تكون تعليلات جديدة يضاف إليها علل النحاة من غير الإتيان بتشكيل جديد في النحو العربي ونجد مثل هذه المحاولات عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني وابن هشام الأنصاري . المبحث الثالث: إحياء النحو العربي عند المحدثين (إبراهيم مصطفى نموذجًا)

ومن هذه المحاولات نجد وصف كلام العرب عند الجميع يبقى كما هو ؛ ولكن التنظير لتقنين كلام العرب وتعليله يستحدث كما تجري مستحدثات الحياة من تطوير وأساليب حديثة.

الكلمات المفتاحية : النحو العربي، تاريخ النحو، التجديد ، النحو العربي .

'Attempts at renewal in Arabic grammar 'rooting and study

Hanan Ali Al-Kajam

Department of Grammar and Morphology - Department of Arabic Language - College of Science and Arts in Khamis Mushait - King Khalid University - Kingdom of Saudi Arabia

Email: HananElkagm@yahoo.com

Abstract

The research tended to identify the nature of the renewal attempts in grammar, and the research was divided into three sections: The first topic: The emergence of grammar The second study Ibn Mada'a al-Qurtubi in his book The Response to the Grammarians had no effect in his true grammar in the writing of the East. That new explanations be added to the ills of grammarians without bringing a new formation in Arabic grammar, and we find such attempts by Abd al-Qaher al-Jarjani and Ibn Hisham al-Ansari. And from these attempts, we find that the description of Arab speech for everyone remains the same, but theorizing to legalize Arab speech and explain it is being introduced as developments in life are taking place, including development and modern methods.

Keywords : Arabic grammar, history of al-tajdid, revival of spiritual grammar.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

النحو علم يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب وقد عرّفه ابن جنى في كتابه الخصائص فهو عنده : محاكاة العرب في طريقة كلامهم تجنبًا للحن وتمكينًا للمستعرب من أن يكون كالعربي في فصاحته وسلامة لغته .يظهر تاريخ النحو العربي في مؤلفات النحاة وأخبارهم ومجالسهم والكلام عندهم يدور حول النحو وتاريخه ونظريته .

هذا التراث النحوي العربي النفيس علقت به شوائب المنطق والفلسفة فدعا ذلك كثير من الناس إلى الابتعاد عن كتب التراث النحوي . ومن أجل ذلك ظهرت محاولات للتجديد وأصوات تنادي بإصلاح النحو العربي وتبسيطه وتيسيره .نحو (تيسير النحو) والتفاحة في النحو ..... ودرست لمحة سريعة لابن مضاء في كتابه الرد على النحو لنرى منهج القدماء في محاولات تيسير النحو وتجديده .

ونلاحظ أن الاتجاه الواصف لكلام العرب يبقى كما هو .لكن محاولات هؤلاء العلماء لتفننين كلام العرب وتعليله وطرائقه التي يطرأ عليها التجديد والتحديث .

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع رغبتي في الإجابة عن هذا التساؤل : هل أضاف القدماء والمحدثون جديدًا للنحو العربي القديم؟ فنهض هذا البحث على ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

- المبحث الأول : نشأة النحو العربي .
- المبحث الثاني : ابن مضاء القرطبي ومحاولات التجديد

- **المبحث الثالث: إحياء النحو العربي عند المحدثين (إبراهيم مصطفى نموذجًا)**

وقد اتبعت المنهج الوصفي التاريخي ورجعت في هذه الدراسة لمصادر ومراجع النحو القديمة والحديثة منها الكتاب سيبويه ، والخصـــائص لابـــن الجني ، إحياء النحو / وتيسير النحو .

وخاتمة تشمل النتائج والتوصيات وفهرس المصادر والمراجع .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول :نشأة النحو العربي :

معنى النحو:

النحو في الأصل مصدر (نحا ينحو) إذا قصد ويقال نحا له وأنحى له وإنما سمي العلم بكيفية كلام العرب في إعرابه وبنائه (نحوًا) ؛ لأن الغرض منه أن يتحرى الإنسان في كلامه، إعرابا وبناء ، طريقة العرب في ذلك .

وحدُّه عندهم: أنه علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كلام العرب والقياس ألا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر ولكنه ثني وجمع لما تقل وسمي به ويجمع على (أنحاء ونحو) (١)

حال العرب مع لغتهم قبل وضع النحو:

كان العرب ينطقون عن سليقة فطروا عليها ، فلا يجهدون الذكر في أي ترتيب، المفردات أو بناء الجمل ، وهم في حال معرفه تامة بأساليب كلامهم على وفق ما جبلوا عليه، وما توارثوه من أسلافهم . بيد أنهم بعد مجيء الإسلام ، ومخالطتهم المعاجم مالت ألسنتهم إلى اللحن ، والخروج عن أصول الكلام إلى مالا تحمد عقباه ، فكانت غيرتهم على الدين وعربيتهم دافعًا لوضع النحو . (٢)

نشأت اللغة العربية في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها مذ ولدت نقية سليمة مما يشينها من أدران اللغات الأخرى.

لبثت كذلك أحقابًا مديدة كان العرب فيها يغدون ويروحون داخل بلادهم على ما هم عليه من شظف العيش، غير متطلعين إلى نعيم الحياة وزخارفها

فيما حولهم من بلاد فارس والروم وغيرها، وإن دفعتهم الحاجة إليها حينا، وتبادل المنافع حينا آخر.

على أنه كان في أسواقهم الكثيرة التي تقام بينهم طوال العام غناء أي غناء في عيشتهم البدوية القانعة، ومن أشهرها عكاظ "بين نخلة والطائف" كانت تقام شهر شوال١، وبعده مجنة "بمر الظهران" من أول ذي القعدة إلى عشرين، وبعده ذو المجاز "خلف عرفة" إلى أيام الحج. ولقد كان في هذه الأسواق فوق ما تضمه من مرافق الحياة ومتطلبات المعيشة منتديات للأدب، يعقدون فيها المجامع ذات الشأن يتبارى فيها مداره الخطباء٢، ومفوهو الشعراء من القبائل المتنائية الأصقاع، يعرضون فيها مفاخراتهم ومنافراتهم ومعاظماتهم وكل ما يعن لهم في جيد الخطب وبديع الشعر عاد ذلك كله على اللغة بتثبيت دعائمها وإحكام رسوخها وجودة صقلها وبقيت كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الإعجام، إلى أن سطع نور الإسلام على ما حول الجزيرة العربية بالفتوحات الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجا ثم تتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، فوصلت في عهد سيدنا عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– شرقا إلى نهري السند وجيحون، وغربا إلى الشام ومصر، فكان من الطبعي هبوط العرب ومعهم عشائرهم وعمائرهم إلى هذه الأمصار التي افتتحوها ودخلت تحت حوزتهم، وبحكم الفتح قد كثر تملكهم للموالي في البلاد المفتوحة عنوة.

كما كان من الطبعي تقاطر الوافدين من هذه الأمصار المفتوحة إلى الجزيرة العربية، إذ فيها المدينة المنورة حاضرة الإسلام، ومقر الخلفاء الراشدين وعلية الدولة. وفيها مكة المكرمة، وبها الكعبة المشرفة التي يؤمها كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهكذا ازداد هذا النزوح من الجانبين كما توالت الفتوحات تترى في عهد بني أمية، فلقد بلغت الفتوحات في عهدهم شرقا الهند والصين وشمالا سيبريا، وغربا ما وراء جبال البرانس بالأندلس، وجنوبا السودان، كما امتدت إلى جزائر البحر الأبيض المتوسط، فهذه المملكة المترامية الأطراف كانت تخفق عليها الراية الإسلامية التي تآخى تحت ظلها الجميع "الأحمر والأسود"، وانمحت بينهم فوارق الجنس والوطن، ودينهم الإسلام وكتابهم القرآن ولغتهم العربية. وكان أثرا لهذه الفتوحات من لدن كانت أن اختلط العرب بغيرهم اختلاطا مستمرا في البيوت والأسواق، والمناسك والمساجد، وتصاهروا واندمجوا في بعضهم حتى تكون منهم شعب واحد اجتمع فيه الصريح والهجين، والمقرف والعبد، اقتضى كل أولئك أن يستمع بعضهم من بعض وأن يتفاهموا في كل ما يتصل بهم ولغة التخاطب الوحيدة بينهم في كل ما يحيط بهم هي العربية، فكان لزاما على غير العربي أن تكون لغته العربية مهما عالج في ذلك وعانى، كما كان لزاما على العربي أن يترفق بغير العربي ويتريث معه في التخاطب، ضرورة التعاون بين الطرفين فكل منهما يسمع من الآخر، والسمع سبيل الملكات اللسانية فما اللغة إلا وليدة المحاكاة وما يصل إلى السمع.

وبطول هذا الامتزاج تسرب الضعف إلى نحيزة العربي وسليقته، على أن غير العربي كان ينزع قسرا عنه إلى بني جلدته، وإن طال لبثه بين ظهراني العرب، فقد كان في عهد الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صهيب يرتضخ الرومية، وسلمان الفارسية، وبلال وسحيم عبد بني الحسحاس الحبشية.

وتولد من هذا كله أن اللغة العربية تسرب إليها اللحن، ووهنت الملاحظة الدقيقة التي تمتاز بها وهي اختلاف المعاني طوعا لاختلاف شكل

آخر الكلمة، فإن هذه الميزة كانت موفورة لديهم وهم يعبدون عن مخالطة سواهم من ذوي اللغات الأخرى التي خلت منها. ولقد كان هذا النوع أول اختلال طرأ على اللغة العربية، منذ كان الإسلام، وكان الموالي والمتعربون، وطفق يزداد رويدا رويدا ما طال الزمن وتفسحت رقعة الإسلام(٣)

قال ابن خلدون: "فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل "أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع"، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا، وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، اصطلحوا على تسميتها بعلم النحو"(٤)

وضع النحو:

"والنحو عربي النشأة فكرًا ووضعًا (وزعم بعض المستشرقين إن علم النحو منقول من لغة اليونان لأن لآن وضعه في العراق إنما كان بعد خلاط العرب للسريان وتعلمهم ثقافتهم، وللسريان نحو قديم ورثوه عن اليونان) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولكننا نقول: إن الدافع الذي مهد لنشأة الدراسات النحوية هو الخوف على نصوص القرآن الكريم من التحريف ؛ نتيجة لتوسع رقعة الدولة الإسلامية ودخول غير العرب من الدين الجديد . ولذا نقر بسبب وضع النحو، أعني قواعد النحو المكتوبة، كما نقر بالحقبة التي دونت فيها تلك القواعد، وهي القرن الأول للهجرة، بلا تحرج أو تخوف، أو تردد، ولا تسلم بما ذهب إليه مصطفى صادق الرافعي بقوله: (أما تاريخ وضع النحو فلا سبيل إلى تحقيقه البتة) واستناداً إلى هذه المقولة ذهب إبراهيم مصطفى إلى (إن معرفة واضع النحو في العربية يكاد يكون معضلة. اللحن إلى الألسنة فمالت إلى اللكنة ، وكان ما كان من أمر النشأة .

والنحو كما نعرفه ينمو مع لغة الإنسان، يتعلمه من محيطه الضيق يعيش بين أفراده، بسليقة صافيه ، قبل أن يتعلم قواعده المدونة، ولهذا نذهب إلى إن هذا العلم لم يبدأ التفكير به إلا بعد تصدع السليقة، وتسرب اللحن ، وليس مستبعدًا أن يتواءم الاهتمام بتدوين قواعده والدين الإسلامي الجديد.

الذي لم يكن خاصًا بالعرب وحدهم . كما أن مبادئ الدين الإسلامي السامية التي وجدت، وأخت بين المسلمين من جميع الأجناس جعلت الاختلاط بين العرب ميسورًا، وبذلك تسرب"(٥)

وقد اتفق العلماء على أقوال ومراجع يعتمد عليها في اللغة لتكون مرجعا للاحتجاج مثل أشعار العرب الجاهليين وهم الذين يسمونهم أصحاب الطبقة الأولى والمخضرمين ويطلق عليهم أصحاب الطبقة الثانية والإسلاميون فالأكثر على الاستدلال بهم ويطلق عليهم أصحاب الطبقة الثالثة

وأما المولدون والمحدثون كبشار وأبي نواس، وهم أصحاب الطبقة الرابعة فقد أخذ الأكثرون بعدم الاعتداد بأشعارهم (٦)

ثم أتى النحاة فاطلعوا على ما انتهى إليهم من كلام العرب. وقد كان عليهم أن يأخذوا بتأمله وتدبُّره، ويعمدوا إلى تقسيمه وتصنيفه، ويمضوا في تتبعه واستقرائه ذلك ليستشفوا النظم التي صيغت بها اللغة المحكية ويكشفوا عن سنن ما جرت به ألسنة العرب على السليقة وطاعت به قرائحهم على السجية.

وهكذا عكف النحاة على اللغة ينعمون فيها النظر، يسبرون غورها ويعجمون عودها فاستبطنوا دخائلها واستجلوا غوامضها. أحصوا مسائلها واستقروا دقائقها. فما جرى من كلام العرب على سنن استنبطوا حكمه وحملوا غير المنقول على المنقول منه وجعلوه قياساً لنظائره. ومضوا يعللون هذا القياس ويسببونه. فإذا سُمع شيء يأباه قياسهم هذا اتسعوا له، وأخذوا به إذا اشتهر وشاع. فإذا ندر أغفلوه وأوجبوا فيه القياس، حملاً له على أمثاله، وتأصيلاً لما استنوه من حدود وقوانين. وقد عقب البغدادي فيما حكاه المزهر (٣٧/١) على هذا فقال: "اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه. وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه(٧) .

قال ابن جني: "لكن القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربين: أحدهما ما لا بد من تقبله كهيئته، لا بوصية فيه ولا تنبيه عليه، نحو صحراء ودار وما تقدم، ومنه ما وجدوه يُتدارك بالقياس وتخف الكلفة في علمه على الناس فقننوه وفصَّلوه إذ قدروا على تداركه من هذا الوجه القريب، المغني عن المذهب الحزن البعيد"(٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أول من وضع النحو:

اختلف المحققون في أول من وضع النحو على أقوال كثيرة فمنهم من قال علي ابن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ومنهم من قال عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومنهم من قالنصر بن عاصم، ومنهم من قال أبو الأسود الدؤلي، ومنهم من قال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي .وكلامهم طويل في ذلك ليس المقام لسردها الآن. وكثير من الروايات في ذلك لا تصح وأقوى الأقوال عند العلماء أن الذي وضع علم النحو أبوالأسود الدؤلي وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

" ويبدو عند التحقيق أن أول من وضع أصول النحو وقياسه هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ). ذلك أن سيبويه قد سمى في كتابه من روى عنهم أصول النحو من الأئمة ولم يتجاوز الحضرمي إلى إمام قبله، فالحضرمي على هذا هو رأس البصرية. وقد حكى السيوطي في المزهر: "وأبو الأسود الدؤلي أول من نقط المصحف.. قال أبو حاتم.. وأما فيما روينا عن الخليل فإنه ذكر أن أبرع أصحاب أبي الأسود عنبسة الفيل، وأن ميموناً الأقرن أخذ عنه" وأردف: ".. ثم توفي وليس في أصحابه أحد مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي. وكان يقال عبد الله أعلم أهل البصرة وأنقلهم، ففرّع النحو وقاسه وتكلم في الهمز حتى عمل كتاباً مما أملاه. وكان رئيس الناس وواحدهم."

وهكذا كان الحضرمي أقدم من انتهج القياس وارتاح إليه وأخذ بالأكثر والأغلب. ففي طبقات الزبيدي(٢٥): (قال ابن سلاّم: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كان أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل). ونحو من ذلك

ما جاء في نزهة الألباء(٢٣) لأبي البركات كمال الدين بن الأنباري، إذ قال: (إنه أول من علل النحو) .

أما أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو (٦٩هـ) فلم تكن خطته تعدو (نقط المصحف)، أي الاهتداء إلى ما اتخذ رمزاً للشكل في الرفع والنصب والجر صوناً للسان من اللحن. وليس هذا بالأمر اليسير الذي يُستهان بجدواه فيما عاد منه على اللغة من جزيل الفائدة وموفور العائدة فقد كان (الشكل) أرفق على العربية نفعًا وأرجى عاقبة من أي شيء آخر. وقد وفق الأستاذ أحمد أمين، رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين أشار في (ضحى الإسلام) إلى ذلك، وأيده فيه الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه (أصول النحو) حين قال: "والشكل أعود على حفظ النصوص من حدود النحو: ولعله أعظم خدمة قدمت للعربية حتى الآن(٩)

خلف الحضرمي أئمة أخذوا بالأكثر والأغلب وعوَّلوا على القياس كعيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ) فقد أسس أصول كتابه (الجامع) على الأكثر، وأسمى ما شذ عن الأكثر لغات، وكذا فعل في كتابه (الإكمال) وهما من مراجع كتاب سيبويه.

وهكذا فعل أبو عمرو زبَّان بن العلاء (١٥٤هـ) كما تقدم، وهو أحد القراء السبعة، ويونس بن حبيب (١٨٢هـ)، وقد أخذ عنه سيبويه خاصة أصول النحو، كما أخذ عنه الكسائي والفراء، وغيرهم، وكان إماماً في نقد الشعر وفي النحو واللغة.

وخلف هذين الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) وهو بحق عميد النحاة، قال الزُّبيدي الإشبيلي الأندلسي في كتابه (مختصر كتاب العين): "فهو

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الذي بسط النحو ومدّ أطنابه وسبَّب علله وفتق معانيه وأوضح الحِجاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده. ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفاً أو يرسم فيه رسماً. واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه، ولقَّنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته، فحمل ذلك عنه وتقلده، وألَّف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدم وامتنع على من تأخر بعده". وقال ابن الأنباري في نزهة الألباء: "وهو الذي بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله". وقد شفَّت أعمال الخليل حقًا عن عبقرية نادرة إذ اختط للنحو نهجًا سليمًا فكان فيه بعيد الغور فسيح الخطوة، وألَّف أول معجم في العربية وهو (كتاب العين) فكان معجمًا فريدًا رتب فيه المواد على الحروف بحسب مخارجها، وقد التزم نهجه الأزهري في تهذيبه وابن عباد في محيطه والقالي في بارعه . ورصد الخليل الأصوات اللغوية وصفاتها فكان له فيها رأي متقدم حصيف. وتعلق بموسيقا الشعر فانفرد بوضع العروض واتخذ لأوزان القصيد ستة عشر بحراً كشف فيها عن حذقٍ في الفن ولطافة في الحس. وقال السكاكي في (مفتاحه) في سبق الخليل هذا: "لا يظن أحد الفضول عندهم في هذا الباب من ضمّ زيادة.. فضلاً عن الإمام الخليل بن أحمد، ذلك البحر الزاخر مخترع هذا النوع، وعلى الأئمة المغترفين منه من العلماء المتقدمين ١/ ٢٧٥". فلم يشارك الخليل في ميدان من ميادين العلم إلا كانت له القدم الفارعة فبدا فيه أسبق العلماء غير مدافع وأفضلهم غير معارض. وكان أبو محمد التوجي يقول: (اجتمعنا بمكة- أدباء كل أفق- فتذاكرنا أمر العلماء حتى جرى ذكر الخليل، فلم يبق أحد إلا قال: الخليل أذكى العرب، وهو مفتاح العلوم) (المزهر- ٢/٢٤٩).

وجاء الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد (١٧٧هـ) وقد روى عنه سيبويه ولم يذكر أحد أنه كان صاحب قياس أو تعليل، فإذا جاء باستدلال ذهني كان أدنى إلى خصوص اللغة، واتخذ وجهًا من وجوه الإعراب كان ألصق بسلامة المعنى.(١٠) وهذا يبين خلاف قول من قال أن أبا الأسود الدؤلي هو واضع علم النحو. وأنه "كان أول من أسس العربية وفتح بابها ، وانتهج سبيلها ووضع قياسها(١١) إلا إن اعتبرنا أن شهرة ذلك كانت لأبي الأسود الدؤلي لما برز ولمع بنقطه للمصحف.

وضع النحو عربي محض:

نشأ النحو في العراق صدر الإسلام لأسبابه نشأة عربية على مقتضى الفطرة، ثم تدرج به التطور تمشيا مع سنة الترقي، حتى كملت أبوابه، غير مقتبس من لغة أخرى لا في نشأته ولا في تدرجه وقد اختلف العلماء في أول ما وضع منه على رأيين:

أحدهما: أن أول ما وضع من أبوابه هو ما وقع اللحن فيه، ثم استمر الوضع فيما بعده على هذا النمط، وذلك ما ذهب إليه جمهور النحاة اعتدادا بالروايات المستفيضة التي اقترن فيها الوضع باللحن، إلا أن تعيين الباب الموضوع أولا منوط بالرواية التي قوي سندها من بين الروايات. والآخر: أن أول ما وضع منه ما كان أقرب إلى متناول الفكر في الاستنباط، لأن وضعه مبني على أساس من التفكير في استخراج القواعد من الكلام لداعي انتشار اللحن، فالموضوع أولا ما كثر دورانه على اللسان ثم ما يليه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهكذا، ولذا قيل: إن الموضوع أولا الفاعل ثم ردفه المفعول ثم المبتدأ والخبر وهكذا. وما تقدم هو ما أطبق عليه علماؤنا خلفا بعد سلف(١٢)

لم يطلق على هذا العلم أول ما أطلق اسم النحو وإنما كان يطلق عليه اسم اللغة العربية ثم اشتهر بعد ذلك بهذا الاسم كما بين ذلك الشيخ الطنطاوي فقال" :فالتسمية بالنحو بعد عصره – أي أبو الأسود الدؤلي–، إلا أنها لم تتجاوز الطبقة الثانية، فقد اشتهرت عنها مؤلفات اتسمت بأنها نحوية، وصرح فيها باسم النحو(١٣)

المبحث الثاني :

ابن مضاء القرطبي ومحاولات التجديد :

عرف الدرس النحوي في الأندلس ازدهارا كبيرا واهتماما واسعا في القرنين الخامس والسادس الهجريين. فقد عرف هذان القرنان اجتهادات نحوية أعطت للدرس النحوي في الأندلس خصوصية تميز بها، تماما كما تميزت الاجتهادات الأندلسية في قطاعات معرفية أخرى. وكما هو معروف فقد كان لابن حزم (٣٨٤- ٤٥٦ هـ) قصب السبق في تدشين خطاب جديد في الثقافة العربية بالأندلس، وذلك من خلال مذهبه "الظاهري"، الذي وإن كان مذهبا فقهيا في الأساس فقد امتد إلى العلوم الأخرى ليكرس الرؤية ذاتها والمنهج نفسه.

وفيما يخصنا هنا يمكن القول إن ابن حزم قد دشن، أو على الأقل بشر برؤية جديدة إلى النحو. لقد كان الدرس النحوي قد تجاوز في عهده الناحية التطبيقية لينساق مع تأملات واجتهادات تقع على مستوى من النظر يتجاوز ما هو ضروري في علم عرّفه أصحابه بأنه "انتحاء سمت العرب في الكلام". لقد تأثر الدرس النحوي بمناقشات المتكلمين وأبحاث الأصوليين فمال بدوره إلى التنظير والتأصيل والتفريع، فاختلطت فيه الناحية العملية بالناحية النظرية، وغدت "فلسفة النحو" جزءا من النحو. وهكذا تركز النقاش النظري في الدرس النحوي على القياس والتعليل ونظرية العامل، وهي موضوعات أقرب إلى ما يمكن وصفه بـ "فلسفة النحو" منها بعلم النحو.

وهنا يبرز اسم ابن حزم كأكبر مندد بهذا "الانحراف" عن النحو العملي والابتعاد عن الغاية التطبيقية منه. إنها النزعة "الظاهرية" الحزمية في الفقه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هي التي ستمتد إلى النحو. وهكذا فكما رفض ابن حزم "التعليل" في الفقه رفض كذلك "العلل النحوية"، ولربما بعنف أشد. لقد رفض التعليل في النحو رفضا تاما فقال: إن العلل النحوية "كلها فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة البتة، وإنما الحق من ذلك أن هذا سمع من أهل اللغة الذين يُرجَع إليهم في ضبطها ونقلها، وما عدا هذا، مع أنه تحكم فاسد متناقض، فهو أيضا كذب، لأن قولهم كان الأصل كذا فاستثقل فنقل إلى كذا (...) شيء يعلَم كل ذي حس أنه كذب لم يكن قط، ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك(١٤) ولذلك نجده يطالب بالاكتفاء في النحو بما هو ضروري لمعرفة قواعد اللغة العربية. يقول: "وأما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد، ومقطعة دون الأوجب والأهم، وإنما هي أكاذيب. فما هو الشغل بما هذه صفته؟ وأما الغرض من هذا العلم فهو : المخاطبة وما بالمرء حاجة إليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط(١٥)

وحسب ما نعلم، لم يؤلف ابن حزم كتابا في النحو يشرح فيه وجهة نظره هذه ويطبقها على الدرس النحوي. لكن الفكرة، وهي جزء من كامل مذهبه، ستبقى حية داخل هذا المذهب ككل. وعندما قام المهدي ابن تومرت بدعوته الشهيرة التي انتهت إلى تأسيس دولة الموحدين في المغرب والأندلس، والتي وظف فيها جانبا من ظاهرية ابن حزم، خصوصا منها رفض القياس في الفقه، كان من الطبيعي أن تعود هذه الدولة بعد استقرار أمرها إلى الأصول الفكرية التي قامت عليها الدعوة المؤسسة لها، وفي مقدمة ذلك الأخذ بالظاهر في العقيدة والشريعة. هنا، وفي هذا الإطار سيظهر ابن مضاء (أحمد بن عبد الرحمن بن محمد) المولود في قرطبة سنة

٥١٢ هـ، والمتوفى سنة ٥٩٢هـ. لقد عاش في عهد عبد المؤمن المتوفى سنة ٥٥٨ هـ والتحق ببلاطه حوالي ٥٤٥ هـ حين وفد إليه من قرطبة ضمن الوفود الأندلسية التي جاءت لتقديم التهاني. واستمر في البلاط الموحدي على عهد يوسف بن عبد المؤمن المتوفى سنة ٥٨٠ هـ الذي عينه قاضيا للقضاة، وهو المنصب الذي استمر فيه على عهد ابنه يعقوب المنصور، إلى أن توفي سنة ٥٩٢ هـ قبل ثلاث سنوات من وفاة هذا الأخير. هذا وقد اشتهر ابن مضاء، خصوصا في العصر الحاضر، بكتابه "الرد على النحاة".

٢- ابن مضاء : نقد نظرية العامل

يحدد ابن مضاء الغرض من كتابه فيقول: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه". ثم يشرع في بيان ذلك مبتدئا بنقد نظرية العامل، مطالبا بحذفها من النحو ليس فقط لكون النحو في غير حاجة إليها بل أيضا لأنها مبنية على تصور خاطئ. يقول: "فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا لعامل لفظي، وأن الرفع منه ما يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي، وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا "ضرب زيد عمروا" أن الرفع الذي في "زيد" والنصب الذي في "عمرو" إنما أحدثه "ضرب". وهذا في نظر ابن مضاء خطأ، لأن "من شرط الفاعل أن يكون موجودا حينما يفعل فعله"، هذا بينما "لا يحدث الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل، فلا ينصب "زيد" بعد "إن"، في قولنا "إن زيدا..."، إلا بعد عدم "إن"، أي بعد أن لم تعد موجودة في الكلام. هذا إذا اعتبرنا أن العامل الذي نصب "زيداً" في العبارة المذكورة عامل لفظي ("إن"). أما إذا قيل له إن العامل معنوي وليس لفظيا فإن ابن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مضاء يجيب قائلا إن "الفاعل" عند من يقولون بهذا –وهم المعتزلة خاصة– على نوعين: فاعل بالإرادة كالحيوان، وفاعل بالطبع كالنار التي تحرق الخشب. أما ألفاظ اللغة فهي لا تفعل لا بإرادة ولا بالطبع. أما القول بأن المقصود بفكرة العامل في النحو هو مجرد "التشبيه والتقريب، وذلك أن هذه الألفاظ التي نسبوا العمل إليها إذا زالت زال الإعراب المنسوب إليها، وإذا وجدت وجد الإعراب، وكذلك العلل الفاعلة عند القائلين بها..."، فإن ابن مضاء لا يعترض على ذلك من حيث المبدأ، فهو يرى أنه كان من الممكن التسامح في ذلك "لو لم يسُقهم جعلُها عواملَ إلى تغيير كلام العرب وحطه عن رتبة البلاغة إلى هجنة العي وادعاء النقصان فيما هو كامل، وتحريف المعاني عن المقصود (١٦)

ويستمر ابن مضاء في نقد نظرية العامل فيعترض على تقدير العوامل المحذوفة، وعلى تقدير متعلقات المجرورات، وعلى تقدير الضمائر المستترة، وعلى تقدير الأفعال. كما يعترض على آراء النحاة في التنازع والاشتغال وفاء السببية وواو المعية، لينتقل إلى الدعوة إلى إلغاء العلل الثواني والثوالث[١٧] وإلغاء القياس وإلغاء اختلافات النحاة. يقول: "ومما يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا، كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها، مما لا يفيد نطقا، كاختلافهم في رفع المبتدأ ونصب المفعول، فنصبه بعضهم بالفعل وبعضهم بالفاعل وبعضهم بالفعل والفاعل معا. وعلى الجملة كل اختلاف فيما لا يفيد نطقا(١٨)

واضح أننا هنا إزاء رؤية ظاهرية للنحو العربي يسهل ربطها بظاهرية ابن حزم، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن ابن مضاء ألف كتابه بعد سنة

٥٨١ هـ(أي زمن يعقوب المنصور الذي تولى الحكم سنة ٥٨٠ هـ، والذي اشتهر بالمبالغة في الأخذ بـ"الظاهر" واعتماد الأصول وحدها، ونهى عن تقليد أحد من الأئمة القدماء، بل إنه أمر بإحراق كتب المذاهب الفقهية، وقيل في ذلك : "وكان قصده محو مذهب مالك مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث(١٩)

يمكن القول إذن : إن كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي يندرج، بكيفية عامة، في نفس الخط الفكري المؤسس للمشروع الثقافي لدولة الموحدين، وأنه منخرط بصفة مباشرة في حملة يعقوب المنصور من أجل تكريس العمل بـ"الظاهر".

نعم، "العمل بالظاهر"، ليس في الفقه والنحو وحدهما بل في جميع العلوم بما في ذلك العلوم الفلسفية. وبدون شك فإن حملة يعقوب المنصور على الفلسفة والفلاسفة، وهي الحملة التي توجت بمحاكمة ابن رشد وغيره من "المشتغلين بعلوم الأوائل"، تندرج من الناحية الفكرية الإيديولوجية في هذا السياق، وإن كانت لها أسباب سياسية خاصة، لأن الانتقال من حملة عامة إلى محاكمة خاصة لشخصية خاصة لا بد أن يكون له أسباب خاصة أيضا(٢٠)

والقضية التي تطرح نفسها علينا هنا قضية مزدوجة: فمن جهة كان ابن مضاء كما ذكرنا قاضيا للقضاة (بمثابة وزير العدل) وهو المنصب الذي استمر فيه على عهد يعقوب المنصور إلى أن توفي سنة ٥٩٢ هـ. ونحن نعرف أن حملة هذا الأخير على الفلسفة والفلاسفة قد بدأت قبل وفاة ابن مضاء بوقت طويل، ونعلم أيضا أن المؤامرة على ابن رشد قد بدأت بشكل علني عام ١٩٩١، ونعلم ثالثا أن محاكمة ابن رشد قد تمت في السنة نفسها

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التي توفي فيها ابن مضاء أو بعدها بقليل. وإذن فالسؤال الذي يطرح نفسه أولا هو: كيف كانت علاقة ابن مضاء بالحملة على الفلسفة والفلاسفة عموما وبنكبة ابن رشد خصوصا؟ إن ما يفرض طرح هذا السؤال هو كونه كان قاضيا للقضاة، وبالتالي فمن المحتمل أن يكون له دور ما في تلك الحملة والنكبة لأنه هو "المرجع" الذي يعتمد عليه الخليفة في مثل هذه الأمور؟

سؤال لا بد من طرحه، وإن كنا لا نملك في الوقت الراهن ما يسمح لنا حتى باقتراح فرضية بشأنه!

كان ذلك عن أحد وجهي القضية التي تطرح نفسها على الباحث بخصوص العلاقة التي يمكن أن تكون بين نكبة ابن رشد وبين ابن مضاء بوصفه قاضي الجماعة أيام تلك النكبة. أما الوجه الآخر فيخص هذه المرة العلاقة بين كتاب ابن مضاء في "الرد على النحاة" وكتاب ابن رشد "الضروري في النحو". وما يبرر طرح هذه المسألة هو أن الرجلين عاشا متعاصرين (ولد ابن مضاء قبل ابن رشد بأربع سنوات فقط وتوفي قبله بثلاث لا غير)، وقد عملا معا منذ شبابهما في بلاط الموحدين، خصوصا مع يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور، وقد توليا في عهدهما منصب القضاء في بعض المدن ثم منصب قاضي القضاة الخ. وأكثر من ذلك –وهذا ما يهمنا هنا أكثر– ألف كل منهما كتابا في النحو ، وقد أراد كل منهما بكتابه تبسيط النحو العربي وتيسيره –وإن كان ذلك من جهتين مختلفتين تماما. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا سؤال مضاعف: فمن جهة لماذا لم يشر أي منهما، لا من قريب ولا من بعيد، إلى كتاب الآخر، مع أنهما يشتركان في الهدف وإن اختلفا في المنهج والرؤية؟ ثم أي منهما

أسبق من صاحبه إلى تأليف كتابه؟ ذلك لأنه إذا كنا نعلم أن ابن مضاء قد ألف كتاب "الرد على النحاة" بعد سنة ٥٨١ هـ، أي زمن يعقوب المنصور، فإننا لا نعلم شيئا عن تاريخ تأليف ابن رشد لـ "الضروري في النحو".

يمكن أن نرجع سكوت كل منهما عن صاحبه بكونهما ينتميان، على صعيد كتابيهما على الأقل، إلى بعدين مختلفين في المشروع الثقافي الموحدي: بعد يرتبط بظاهرية ابن حزم على مستوى العقيدة والشريعة، وإلى هذا البعد ينتمي ابن مضاء كما بينا، وبعد يرتبط بفكر أرسطو على مستوى المنطق والعلوم العقلية، وإلى هذا ينتمي ابن رشد كما هو معروف. وهو يرتبط بأرسطو في كتابه "الضروري في النحو" ليس على صعيد ما يسمى بـ "تأثير المنطق الأرسطي في النحو العربي"، بل صعيد منهج التأليف العلمي. أما ارتباطه بالموحدين في هذا الكتاب كما في كثير من كتبه فلم يكن فقط على مستوى "السياسة الثقافية" فحسب، بل أيضا على مستوى الاستجابة للطلب. إن فيلسوف قرطبة يصرح في كتابه هذا –كما فعل في كتب أخرى– أنه ألف كتابه هذا تلبية لأمر صدر به إليه[٢١] من أحد أمراء الموحدين، لا يذكر اسمه ولكن يقول عنه إنه هو الذي "أرشد الغاية التي بها استقام نحو هذا النظر وجرى في هذا المسلك"، بمعنى أنه هو الذي اقترح عليه تأليف كتاب في النحو على الطريقة التي سلكها فيه[٢٢] ويفهم من سياق كلام ابن رشد أن "الغاية" التي طُلِب منه تحقيقُها بكتابه هذا هي ما أفصح عنه في مقدمته، حيث كتب يقول: "الغرض من هذا القول أن نذكر من علم النحو ما هو كالضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم ويتحرى في ذلك ما هو أقرب إلى الأمر الصناعي وأسهل تعليما وأشد تحصيلا للمعاني(٢٣) وإذن فالغاية هي تأليف كتاب في النحو على الطريقة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العلمية التي تراعي تنظيم مسائل العلم تنظيما منطقيا يصير به "أسهل تعليما وأشد تحصيلا للمعاني".

الكتابان، كتاب ابن مضاء وكتاب ابن رشد، تجمع بينهما الغاية وهي تيسير النحو العربي، ولكن تفرق بينهما الطريقة والمرجعية : ابن مضاء يتحرك داخل بنية النحو العربي، كما كانت منذ سيبويه، مع "إسقاط كل ما لا يفيد نطقا"، الشيء الذي يربطه بظاهرية ابن حزم. أما ابن رشد فيريد أن يعيد بناء النحو العربي وفق "الترتيب" الذي هو "مشترك لجميع الألسنة(٢٤) .

المبحث الثالث :

إحياء النحو العربي عند المحدثين (إبراهيم مصطفى نموذجاً)

إبراهيم مصطفى هو أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة يدرس النحو العربي ويتعمق في أصوله ويتتبعها بالنقد والتحليل ؛ فتوصل بعد طول نظر إلى ما أسماه إحياء النحو .

وهي نظرة تجديدية تأصيليه نظرها للنحو العربي .

فهل يعد كتابه تجديدا للنحو ؟ وإذا كانت دعوة التجديد حديثا منقبا لعلماء اللغة العربية فإن معنى ذلك أن النحو العربي الذي ورثناه عن النحاة فيه غلو في التعقيد والإبهام كما أن مجهودات كثير من أئمة النحو لم تكن مبنية على أسس علمية ، أو أن النحو بصيغته لم يعد مناسبًا لزمننا هذا علميًّا وتعليميًّا ، وعليه فإننا مدعوون إلى إعادة بناء مفاهيمه وتبسيطها لاسيما للدارسين من طلاب المدارس والجامعات .

أما الباحثون فعليهم أن يقرءوه ويعرفوا أسراره وخباياه .

وفي كتابه إحياء النحو كان يهدف من خلاله إلى تحقيق هدفين يقول (أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو ، وأبدلهم . منها أصولا سهلة يسيرة تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من ألفه بأساليبها) (٢٥)

وقد أثنى طه حسين على الكتاب ؛ إذ يراه فتحًا جديدًا للنحو وإصلاحًا له يقول :(فالكتاب كما ترى يحيي النحو لأنه يصلح وهو يحيي النحو ؛ لأنه ينبه إلى من اطمأنوا إلى الغفلة عنه و حسبك بهذا إحياء)(٢٦)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولكن ما هي القضايا النحوية التي أحياها الكتاب وأصلحها ؟

إن قراءة فاحصة للكتاب توحي أنك أمام كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ،ذلك أنه عالج فيه أهم نظرية في النحو العربي وهي العامل وما يتفرع عنها من مسائل ترتبط به نحو : مفهوم النحو والإعراب والتعليل .

انطلق إبراهيم مصطفي في معالجة مفاهيم النحو من تعريف ورد عن بعض النحاة المتأخرين مفاده أنه) علما بأصول يرف بها أحوال الكلم إعراب وبناء ،،(٢٧)

ومضمون النحو مقصور على الحركات الإعرابية التي تلتزم أواخر الكلمات ، إلا أنها أوسع من أن يحصر في الإعراب والبناء ، إنه يتجاوز حدود الوصف الشكلي إلى الوظائف التركيبية والدلالية .

فهذا التعريف لم ينظر إليه علماء الأصول على أنه تعريف شامل جامع، بل فيه قصور ،أي قصور !

ذلك أن الحد كما بينه النحاة والأصوليون " هو ما يميز الشيء. عما عداه ، ولا يكون كذلك إلا ما كان جامعا مانعا "(٢٨)

وبناء علي هذا المفهوم طرح الأصوليون كثيرا من التعريفات وأثبتوا أنها ما وافقت شروطا لحد ، حيث نجد السيوطي يعرض حدودا للنحو ويختار منها الأصوب يقول :"للنحو حدود شتى وأليقها بهذا الكتاب قولا لابن جني في الخصائص ": انتحاء سمت كلام العرب فيتصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير . والإضافة وغير ذلك ،ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة " (٢٩)

فهذا التعريف جامع مانع ، إذ جمع كل جوانب النحو وأصوله من قياس وسماع وتصريف واشتقاق وإعراب وبناء ، كما ضمن العلاقات النحوية فيما بين الكلمات والجمل .

فقد أثبت ابن جني من خلال تعريفه أن النحو ليس إعرابا وبناء ، وإنما هي أصول ومقاييس تتبع فيه وجوه التأليف والنظم ما يقو بالنحو على استخلاصه من علاقات ومعان ودلالات .

فالقصور والخلل في التعريف الذي انطلق منه إبراهيم مصطفى لا في النحو ذاته ولا في فهم النحاة .

ثم إن المنهج العلمي يفرض أن تكون الفرضيات علمية حتى تكون النتائج سليمة ، كما أن الاكتفاء بنص واحد واتخاذه دليلا على فشل النحاة أمر يرفضه المنهج والعلم .

وكان من الواجب أن يأتي على كل التعريفات التي أقرها النحاة واعتمدوها ثم التسليم بصحتها أو فسادها .

ويقف محمد الخضر حسين مستنكرًا من حكم إبراهيم مصطفي يقول : " وإن لم يكن المؤلف قد اطلع على ما كتبوه في شرح هذا التعريف وهو من المؤلفات القريبة المنال أفلا يكون لقاري كتابه حق في عتبه عتبا جميلا على عدم صرف شيء من وقته في الرجوع إلى مثل

هذا المؤلفات قبل أن تعرض لتخطئة علماء قضوا في استنباط قواعد اللغة والتفقه في أسرارها وقتا طويلا "(٣٠)

إن ما قام به إبراهيم مصطفى هو استبدال تعريف بتعريف يراها أكثر علمية ودقة ونراه تعريفًا عاما يفتقر إلى الدقة والشمولية يقول عن النحو :"

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هو قانون تأليف الكلام وبيان لكلما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة ، والجملة مع الجمل حتى تتسق . والعبارة ويمكن أن تؤدي معناها "(٣١)

قد يحتاج المبتدئ إلى فهم قانون التأليف وبيانه ، وكيف تكون أحوال الكلمات والجمل حتى يحصل الانسجام والاتساق .

فاللفظ على عمومه يؤدي لسوء الفهم ؛لأن هذا التعريف يتصف بالعمومية في مصطلحات ،

وربما أراد المؤلف أن يمزج بين النحو والبلاغة .

لقد بنى إبراهيم مصطفى تعريفه على ثلاثة منطلقات أساسية هي :

١/ قانون ٢/ بيان ٣/ اتساق

فالقانون هو النظام والضوابط التي تحول دون تسرب الفساد والاضطراب .

أما البيان فهو الوضوح الذي يجعل صياغة الجملة مفهومة وبليغة .

وأما الاتساق فيمكن مقابلته بالنظم .

فالتعريف فيه من روح نظرية النظم ما لم يقو على إنكاره أحد دعا فيه صاحبه إلى ربط النحو بالبلاغة ، وأن دراسة النحو يجب أن تكون مرتبطة بالأساليب لا منفصلة عنها .

فالنحاة لما عرضوا لتجديد النحو لم يغب عن أذهانهم علاقته بالبلاغة، وإنما فعلوا ذلك ليتضح لدى المتعلم حدود النحو ولا يلتبس عليه الأمر فيخلط بين خصائص النحو وخصائص البلاغة .

وجد في تاريخ النحو أئمة يؤلفون صنفين من الكتب ، صنف تعليمي وصنف علمي مثال لذلك كتاب اللمع والخصائص لابن جني ، والعوامل المائة والدلائل للجرجاني لأنهم رأو عقول المتعلمين قاصرة عن إدارك هذا التعمق الفلسفي ، فأجروا الكلام على ما يسهل على المتعلمين ، وهم يعنون ما ذكرناه ، ثم هم خوفا للالتباس يصرحون في كتبهم الموسعة بما هو الحقيقة . وما يقصدون من تأويل كلامهم "(٣٢)

والذي يمكن استخلاصه أن تعريفات النحاة للنحو كانت على صنفين هما :

- الصنف الأول تعليمي يحتاج فيه المتعلم لدربة وحسن فهم ، ويكون موجزا غير جامعا لكل مسائل النحو .
- الصنف الثاني ، علمي وفيه يخلص النحوي إلى وضع خلاصة أفكاره بدقة وعلمية ، ويشمل خصائص النحو ومميزاته .

يعتقد صاحب إحياء النحو أنه استدرك ما غاب على النحاة من اهتمام بالأساليب ودراستها والوقوف عند غاياتها فالكلام لا يخلو من استفهام وتعجب ونفي وطلب وتقديم وتأخير "

وغيرها من صور الكلام قد مروا بها من غير درس إلا ما كان من أسباب الإعراب ،أو متصلا بأحكامه ، وفاتهم لذلك كثير من فقه اللغة وتقدير أساليبها . "(٣٣)

فالمنهج النقدي الذي يسلكه إبراهيم مصطفى تخلله ثغرات واضحة منها ما عكف على توضيحه من مسلك النحاة للإعراب الذي يحصروه في الشكل بعيدا عن المعنى وقرائنه غير أن المطلع لى آراء ابن هشام يجد أن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الرجل ربط بين المنهج الشكلي والمنهج الدلالي عن طريق الأساليب التي يلتقي بظلالها على الجهات الإعرابية حيث حصرها في عشر نقاط ، يقول :"أن يراع ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراع المعنى وكثيرا ما تزل الأقدام بسبب ذلك "(٣٤)

فابن هشام لم يقف عند شكل الإعراب بل تعداه إلى ما يتركه من أثر دلالي ، وما تبنى عليه العلاقات بين الكلمات تداخلا لتركيب . وقد أورد أمثلة شرح فيها وجوه الإعراب المختلفة يقول " وها أنا مورد بعون الله أمثلة متبني فيها على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد وبض الأمثلة وقع للمعربين فيه وهم بهذا السبب "(٣٥)

ومن أمثلة ذلك " ما كان بعضهم من أنه سمع شيخ يعرب لتلميذه) قيما (منقولة (٣٦) صفة لعوجا قال : فقلت له يا هذا كيف يكون ولم يجعل له عوجا قيما قال تعالى : العوج قيما ؟وترحمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في عوجا وقفه لطيفة دفعل لهذا التوهم ، وإنا قيما حال ، وإما من اسم محذوف وهو وعامله ، أي أنزله . قيما ، وإما من الكتاب "(٣٧)

والكتاب مليء بالحجج الدالة على أن النحاة لم يكتفوا بالشكل وإنما نظروا الى المعنى وبينوا شرفه من خلال فهم كتاب الله وكلام العرب شعرا أو نثرا .

وهذا الجرجاني الذي يوقف عند كنه الإعراب ، وبين أهميته في الكلام وأثبت أن النحاة تمثلوا الدلالة نابعة من البنية الإعرابية ، يقول خالد

ميلاد"فليس العمل في عرف نحاتنا سوى منى أثمرته العلاقة المجردة بين العامل والمعمول .

وليس العامل سوى معنى قد يوسم باللفظ وقد لا يوسم في مستوى الإنجاز ولكنه معنى ثابت وله محل في البنية النحوية والدلالية الأولى(٣٨).

تصل القرينة الإعرابية ذروتها الوظيفية في النصف يستغن عن توفير توفير أدوات لفظية التي يتم بها ربط الكلمات بعضها ببعض لا سيما عند الإبلاغ بالخبر ، وإما أنها تتجاوز عن ذلك فلا تصرح بالرابط معتمدة على تغيير أواخر الكلمات الذي يبح هو ذات قرينة كاشفة لطبيعة العلاقة الحادثة بين الالفاظ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من النتائج التي توصلت إليها .

- أن النحو العربي له أصول متينة ونظريات ثابتة ومايحدث من محاولات تجديد فيه هي مجرد تحديث
- وكذلك نجد اللسانيات الحديثة تفيد في التعليم والخطاب ولا تكون بديل عن النحو القديم الموروث
- فلابد من التوازن بين الماضي والحاضر ولايصح فصل الماضي عن الحاضر إي لابد من اصطحاب القديم ولامانع من مواكبة الحداثة

الهـــوامش

(١) اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء ص١

(٢)دور البصرة في نشأة الدراسات النحوية وتطورها الأستاذ المبارك ص٢

(٣) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ص٥-٧

(٤) مقدمة ابن خلدون ص٢٥٣

(٥) المرجع السابق ص٤

(٦) دراسات في النحو صلاح الدين الزعبلاوي ص٢ بتصرف

(٧) المرجع السابق ص٣

(٨) الخصائص (٤٢/٢)

(٩) دراسات في النحو صلاح الدين الزعبلاوي ص٤

(١٠) دراسات في النحو صلاح الدين الزعبلاوي ص٦-٧

(١١) اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء ص١٣

(١٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ص١٤

(١٣) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ص ٢٣

(١٤) ابن حزم : التقريب لحد المنطق والمدخل إليه. تحقيق إحسان عباس منشـــورات مكتبـــة الحياة بيروت. ص ١٦٨

(١٥) ابن حزم : رسالة مراتب العلوم. رسائل ابن حزم. المجموعة الأولى نشر إحسان عباس ص ٦٤.

هذا وقد استعدنا هذه الفقرة من كتابنا "تكوين العقل العربي." الفصل ١٢ فقرة ٢

(١٦) ابن مضاء القرطبي. الرد على النحاة. تحقيـــق شـــوقي ضـــيف. دار الفكـــر العربـــي. القاهرة ١٩٤٧ ص٨٨

(١٧) العلل النحوية ثلاثة : العلة التعليمية، التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب بقياس بعضه على بعض، والعلل القياسية وهي التي تعلل بها الأحكام النحوية، كتعليل نصب "إن" للمبتـــدأ بكونها وأخواتها تشبه الفعل المتعدي إلى مفعول، فحملت عليه وأعملت إعماله لما شابهته، فهذه العلل تعلل العلل الأولى التعليمية. أما المستوى الثالث فهو العلل الجدلية النظرية، وهي التي تعلل العلل القياسية فهي علة العلة، أو العلة الثالثة. ولا تقف العلل عند هذا المســـتوى بل يمكن أن تتسلسل إلى الرابعة والخامسة." انظر: بنية العقل العربي. البيـــان. الفصـــل ٤ أواخر الفقرة ٣.

(١٨) ابن مضاء . نفس المرجع. ص ١٦٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(١٩) شوقي ضيف في مقدمته لكتاب الرد على النحاة. نفس المعطيات السابقة. ص ١٥
(٢٠) راجع تكوين العقل العربي. الفصل ١٢ فقرة ٥
(٢١) بخصوص حملة يعقوب المنصور على الفلسفة والفلاسفة وظروف وملابسات محاكمة ابن رشد انظر كتابنا :ابن "رشد: سيرة وفكر". مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٩٩ الفصل الثالث.
(٢٢) ابن رشد. الضروري في صناعة النحو. تحقيق باب هارون ولد الشيخ سيدي. الشركة الإفريقية الطباعة والقرطاسية (سعيد). أنواكشوط. موريتانيا. ٢٠٠٠، ص ٧٥
(٢٣) م. ع. الجابري. ابن رشد سيرة وفكر. نفس المعطيات. ص ١٤٣. هذا ولا بد من الإشارة إلى أن ابن رشد يشير إلى أن هذا الطلب جاء موافقا لرغبته الخاص في تأليف كتاب في النحو على الطريق الصناعي. وهي رغبة تنسجم مع اتجاه مشروعه الفكري العام الذي لم يتردد في القول عنه إنه يهدف إلى التصحيح والإصلاح : تصحيح العقيدة وتصحيح منهجية التفكير وتصحيح الفلسفة الخ. انظر نفس المرجع الفصل الرابع وما بعده.
(٢٤) نفسه ص ٢٦
٢٥- إحياء النحو، دارالكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2 ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ص٥٠
٢٦- المرجع نفسه،
٢٧- إحياء النحو، ص.٩٢
٢٨- شرح الحدود النحوية، ص42
.٢٩- الاقتراح، ص 14 ،وينظر :الخصائص، ج1 ،ص3
٣٠- دراسات في اللغة العربية وتاريخها، ضبطه علي رضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، 1421ه-ـ٢٠٠٠- م، ص182
٣١- إحياءالنحو،ص٢٥
٣٢- محمد أحمد عرفة، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، مطبعة السعادة، مصر،ص84
٣٣- إحياءالنحو،ص٢٣
٣٤- مغني اللبيب، ج2 ،ص607
٣٥- المصدر نفسه، الموضع نفسه.
.٣٦- الكهف1 /١٥
.٣٧- مغني اللبيب، ج2 ،ص613
٣٨ - ينظر :دلائل الإعجاز، ص42
٣٩-خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص527

قائمة المصادر والمراجع

١- إحيـــاءالنحو، إبـــراهيم مصـــطفى – دارالكتـــاب الإســـلامي،القاهرة،ط2 ١٤١٣هـــ – ١٩٩٢م

٢- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة،دراسة نحويـــة تداوليـــة، خالـــد ميلاد،دار الفكر العربي د.ت

٣- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه. ابن حزم – تحقيـــق إحســـان عبـــاس منشورات مكتبة الحياة بيروت.

٤- الخصائص- ابن جني(٣٩٢هـــ) – تحقيق : محمد النجـــار – دار الفكـــر العربي – بيروت – لبنان ١٩٩٦م

٥- دراسات في اللغة العربية وتاريخها، ضبطه علي رضا الحســـيني، الـــدار الحسينية للكتاب، 1421 هـــ –ـــ٢٠٠٠

٦- الرد على النحاة. ابن مضاء القرطبي. تحقيق شوقي ضـــيف. دار الفكـــر العربي. القاهرة ١٩٤٧

٧- رسالة مراتب العلوم. رسائل ابن حزم. المجموعة الأولى نشـــر إحســـان عباس د.ت

٨- الضروري في صناعة النحو. ابن رشد. تحقيق باب هارون ولـــد الشـــيخ سيدي. الشركة الإفريقية الطباعـــة والقرطاســـية (ســـعيد). أنواكشـــوط. موريتانيا. ٢٠٠٠

٩- اللباب في علل البناء والإعراب – لأبي البقاء العكبري – تحقيق:د. عبـــد الإله نبهان –ط١ – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان١٩٩٥م

١٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري – تحقيق: د. مازن المبارك – راجعه: سعيد الأفغاني – دار الفكر – دمشق- ط-١ ١٩٦٤م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٣٦٩٦
٢.	Abstract	٣٦٩٧
٣.	المقدمة	٣٦٩٨
٤.	المبحث الأول : نشأة النحو العربي .	٣٧٠٠
٥.	المبحث الثاني : ابن مضاء القرطبي ومحاولات التجديد	٣٧١١
٦.	المبحث الثالث: إحياء النحو العربي عند المحدثين (إبراهيم مصطفى نموذجاً)	٣٧١٩
٧.	من النتائج التي توصلت إليها .	٣٧٢٦
٨.	الهوامش	٣٧٢٧
٩.	المصادر والمراجع	٣٧٢٩
١٠.	فهرس الموضوعات	٣٧٣٠

تم بحمد الله